لا يحميها احد تشكل إغراء لجيرانها الكواسر . وتلقى الكسي ارداتشيف مهمة إظهار مواهبه في تنفيذ تطلعات القيصر .

وسأل ارداتشيف : « لماذا تأخرت دوربات في دفع ما عليها من جزية ؟ » .

وفوجيء الليڤونيون ولم يفهموا هذا المزاح فاجابوا : « اية جزية هذه ؟ . إننا لم نسمع قط شيئاً عن ذلك ولا رأينا وثائق عن جزية تدفع لدوق موسكو الكبير » . وأجاب ارداتشيف : « اوه ، انتم تفاجئونني . الا تعرفون إذن أن أجدادكم الذين قدموا من الطرف الآخر من البحر غزوا ليڤونيا ودخلوا اراضي غراندوقات موسكو الذين لم يشاؤوا إراقة الدم المسيحي فتركوهم يستقرون على ان يدفعوا جزية لهم ؟ . ولم تدفع هذه الجزية فاضطررنا الآن للمطالبة بهذه المتأخرات » .

وكانت هذه الجزية قد فرضت بالفعل ولكن على ان تدفع عسلا لا نقداً فطالب الآن ارداتشيف بأن تدفع ذهبا . وبما ان الليڤونيين لم يكونوا يجرؤون على الرفض فقد التمسوا مهلة ثلاث سنوات رافة بهم واعدين بأن يسددوا بعدها كل ما يطلب منهم . وكانوا يأملون ان يجدوا في هذه السنوات الثلاث حلفاء في السويديين أو الليتوانيين يساندونهم على روسيا . ورغم أن السويديين والليتوانيين كانوا قوماً اشداء فإنهم لم يكونوا اشد خطورة مما كان عليه جيرانهم من الروس .

أعلن غوستاف ملك السويد الحرب على إيڤان بسبب بعض التجاوزات على أرضه على سواحل خليج فنلندا . ولكن ما كان يعرفه عن قدرة روسيا من الناحية العسكرية كان يعود الى ماض بعيد ، فما أن بدا القتال حتى ادرك انه اساء تقدير قوة عدوه . فقد القى الروس الحصار على فيبورغ واجتاحوا الاراضي المجاورة آسرين الكثيرين من الاسرى حتى انحدر ثمن الفتاة السويدية الى خمسين من الكيبيكات أو اقل .